

مَوْتُ الْعُلَمَاءِ لَا هُوَ بِالْثُلْمَةِ... وَلَا انْقِاصٌ مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ!

عزّام محمد زقزوق*

بَلَا شَكَّ! إِنَّ الْعَيْنَ لَتَدْمَعُ، وَإِنَّ الْقَلْبَ لَيَحْزَنُ عَلَى مَوْتِ الْأَعْرَاءِ مِنَ النَّاسِ، وَعَلَى الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ بِالذَّاتِ... وَذَلِكَ لِمَكَانَتِهِمْ وَفَضْلِهِمْ، وَتَأْثِيرِهِمْ وَأَثَرِهِمْ...

وَفِي أَمْرِ مَوْتِهِمْ ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا" (البخاري)

مَا يُفْهَمُ مِنَ الْحَدِيثِ الْحَثُّ عَلَى تَعَلُّمِ الْعِلْمِ وَحِفْظِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرْفَعُ إِلَّا بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ. وَفِيهِ: التَّحْذِيرُ مِنْ تَرْتِيسِ الْجَهْلَةِ، وَتَعْيِينِ الْجُهَلَاءِ فِي الْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ... إلخ! وهذا، ببساطة، لِحَقِيقَةِ فِطْرِيَّةِ فِجْوَها: أَنَّ الْكُونَ يَكْرَهُ الْفِرَاعُ!!

لَكِنِ مَا انْتَشَرَ مُؤَخَّرًا فِي وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، وَغَيْرِهَا، مِنْ أَنَّهُ: إِذَا مَاتَ الْعَالِمُ ثَلِمَ فِي الْإِسْلَامِ ثُلْمَةٌ (شَقٌّ، شَرْحٌ، ثَغْرَةٌ... إلخ) لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" فهذا كلامٌ غيرُ ثابتٍ مِنْ جِهَةِ السَّنَدِ... وَمِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى وَالْمَقْصِدِ: هُوَ بَاطِلٌ أَيْضًا! وَالْأَفْكَيفَ نَقَبَلْ بِرَأْيِ (Opinion) انْتِلَامٍ مَا ارْتِضَاهُ... وَضَمِنَ حِفْظَهُ... اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ!!

وَيَأْتِيكَ آخَرَ؛ بِرَأْيِ، مُجَرَّدَ رَأْيِ تَفْسِيرِيٍّ... مِنْ أَنَّ تَفْسِيرَ الْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْكَرِيمَةِ: "... أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا" (الرَّعْدُ: 41)

هو: مَوْتُ الْعُلَمَاءِ!!!

إِنَّ حَسْبَنَا... وَالْأَجْدَرَ بِأَخْذِنَا فِي فَهْمِنَا، وَتَصَوُّرِنَا، وَسُلُوكِنَا: الْقَوْلِيُّ وَالْعَمَلِيُّ حَقِيقَةُ (Fact) مَا ثَبَتَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَزَالُ اللَّهُ يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا، يَسْتَعْمَلُهُمْ فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (صَحِيحُ الْجَامِعِ)

وقوله ﷺ: "أمتي كالمطر لا يُدرى أوله خيرٌ أم آخره"

إنَّ علمنا بِحوادثِ الوجودِ يتراوحُ انحدارًا! بينَ مراتبِ اليقينِ... وَالظَّنِّ، وَالشَّكِّ، وَالوَهْمِ! فكيفَ لباليغِ عاقلٍ

راشدٍ، فضلًا عنَ مُسلمٍ، اللُّجُوءُ وَالإِتِّكَاءُ عَلَى أَحَدِ الثَّلَاثِ الأُخْرِ! رَغْمَ وُجُودِ أَوْلَاهُمْ؟!!!

اللَّهُمَّ! أرنا الحَقَّ والصَّوَابَ والصَّحِيحَ حَقًّا وصَّوَابًا وصَّحِيحًا، وارزُقنا اتِّباعَه!

التاريخ: 02، جُمادى الآخرة (06)، 1443هـ

الموافق: 05، يناير (01)، 2022م

*مستشار ومُدرَّب وإستراتيجي إدارة مشروعات

